الأمير عبد القادر و الماسونية الفرنسية
متاجر صورية / هلايلي حنيفي ، المجلد الثاني عشر، العدد 2، ماي 2021،
ص ص 46-65

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الأمير عبد القادر و الماسونية الفرنسية أي علاقة في تاريخ الحركة؟

Emir Abd el Kader and French masonry
any relationship in the history of the movement?

صورية متاجر (*)
جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر
sorayabiblio@gmail.com

حنيفي هلايلي
جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر
hanifi_andalous@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 28/ 2021/03 تاريخ القبول: 2021/04/15 تاريخ النشر: 2021/05/30

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أطروحتين متباينتين عن طريق تسليط الضوء على مواطن القوة والضعف في قضية اتهام الأمير و انخراطه في المحفل الماسوني الفرنسي. لقد أظهرت عديد الكتابات أن عبد القادر كان رجلاً صوفيا ، متأثرا بشيخه ابن العربي الأندلسي ، خاصة ما يتعلق بفكرة وحدة الوجود ، و مسألة أزلية الروح ، و البرزخ .كل هذه السياقات، جعلت من دارسي سيرة الأمير عبد القادر ، و خاصة الباحثين الفرنسيين ، و بالاعتماد على الوثائق الأحادية المصدر التي هي بحوزة المحفل الماسوني، تؤكد على انضمامه إلى الماسونية و الدعاية لها في المشرق.

الكلمات الدالة:

الأمير عبد القادر، الماسونية، فرنسا، سوريا، الدولة العثمانية،الجزائر، التصوف، الإسلام.

Abstract:

This study aims to analyze two dissimilar theses by shedding light on the strengths and weaknesses in the case of the prince's accusation and his involvement in the French Masonry lodge. Numerous writings have shown that Abd el-kader was a Sufi man, influenced by his sheikh Ibn al-Arabi al-Andalus, especially with regard to the idea of pantheism, the issue of eternity of the soul, and the isthmus.

All these contexts made the scholars of the biography of Emir Abd el-kader, especially the French researchers, and by relying on single-source documents in the possession of the Masonry lodge, confirm this accession.

Key Words:

(*) المؤلف المرسل: متاجر صورية sorayabiblio@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

Emir Abd el Kader ,Islam, soufism, french , Ottoman Empire, Algeria, Syria, French masonry .

****

عبد القادر الحسني الجزائري الملقب بالأمير(1808-1883) ، شخصية مرموقة في القرن التاسع عشر، و شخصية قيادية ضد الغزو الفرنسي بالجزائر، شملته بيبليوغرافية غزيرة أثناء حياته و بعد وفاته[1]، فأضحى أسطورة مستمرة للنضال و المقاومة و التحرر في ذاكرة الجزائريين، فهو مؤسس الدولة الجزائرية المعاصرة، ورائد مقاومتها الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي. كما يعد من كبار رجال التصوف والشعر وعلماء الدين، وفوق كل ذلك كان داعية سلام وتآخي بين مختلف الأجناس والديانات، وهو ما فتح له الباب على مصراعيه نحو تأسيس علاقات صداقات وإعجاب ملوك أوروبا و الفاتكان وكبار السياسيين في العالم. إن تاريخ حياة الأمير عبد القادر تتحدث عن تعليمه في وهران و اتصاله حينذاك بالسلطات العثمانية، و قد كانت نظرته تجاههم تشاؤمية بعد توقيع الداي حسين(1818-1830) على معاهدة استسلام مدينة الجزائر في 5 جويلية 1830، و تسليم مقاليد وهران للفرنسيين من طرف باي وهران حسن الباهي(1826-1831)[2].

عُرف الأمير عبد القادر الجزائري بالدهاء والحكمة جعلت منه رجل حرب وسلم. لقد اضطر إلى التسليم بعد أن تفرقت أغلب القبائل من حوله و تخلت عن نصرته، و تحول سلطان المغرب عبد الرحمان بن هشام (1789-1859م) عنه و محاولته وضع حد لجهاده بالقضاء عليه أو إلقاء القبض عليه عملاً بنصوص معاهدة لالة مغنية(1845)، التي اعتبرت الأمير خارجاً على القانون. فكان التسليم خيارًا لحقن الدماء، ولم يتنازل الأمير عن مبادئه وقيم أفكاره الأصيلة التي ظل يدعو إليها طوال حياته. تعرضت سيرته لحملات تشويه مركزة ومنظمة، واختلقت له الدوائر الاستعمارية التهم والأكاذيب، فقد اتهم الأمير بأنه تعاطف مع الماسونيين ثم انتسب إلى محافلهم. وقد روّج لهذه الدعاية الكولونيل وليام تشرشل صاحب كتاب "حياة عبد القادر"(1867)، ثم نقل عنه هذا الاتهام مفكرون عرب، مثل جرجي زيدان و شاهين مركيوس ،و أخيرا الفرنسيان كزافي ياكونو(Xavier Yacono) سنة 1966، و برينو إتيان سنة 2009(Bruno Étienne).

لماذا اتهم الباحثون الفرنسيون الأمير عبد القادر و أحفاده بالانخراط في سلك الماسونية ، ثم الترويج لها في بلاد الشام؟ كيف يفهم ارتباط الماسونية بشخصية عبد القادر انطلاقا من

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الفتنة الطائفية في بلاد الشام سنة 1860؟ أي علاقة بالحركة مع الأمير في ظل هذه التطورات؟ هل توجد قرائن بممارسة الأمير للأنشطة الماسونية السرية؟ لماذا تدرس سيرة الأمير عبد القادر في التاريخ الفرنسي، مرتبطة بالماسونية؟ أم من قبيل الصدفة أن تاريخ ارتباط الأمير بالمحفل الماسوني الفرسي بدأت الكتابة عنه انطلاقا من تاريخ 1966؟

إن تأسيس دولة مسيحية أجنبية لأول مرة في الجزائر، أدت إلى بروز شخصية الأمير الذي أسس سلطة مغايرة للعثمانيين(1832-1837)، ورثت تركتهم في معظم أجزاء البلاد الجزائرية، و بالرغم من محاولة السلطان المغربي عبد الرحمان(1822-1852) استمالة أعيان تلمسان لإجراءات قبول البيعة لصالحه، بعد انحسار الوجود العثماني بالمنطقة بفعل الغزو الفرنسي، إلا أن الأمير كان له بالمرصاد[3]، فقد وضعت معاهدة التافنة سنة 1837 حدا للنفوذ العثماني ، كما كرست معاهدة دي ميشال من ذي قبل (1834) نفوذ الأمير في بايليك الغرب الجزائري.

قامت دولة الأمير عبد القادر أساساً كرد فعل على غزو أوروبي خارجي تمثل هذه المرة في المحتل الفرنسي الذي دخل الجزائر عام 1830. و بعد تردد قصير ناتج أساساً من فراغ في هرم السلطة السياسية بعد استسلام الداي، اختير عبد القادر " شورياً" من قبل أهم قبائل وسط و غرب الجزائر، لقيادة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي. لقد اضطرته هذه الظروف إلى بذل جهود تنظيمية كبيرة ،مكنته من وضع أساس التنظيم الإداري لدولة جزائرية جديدة ذات نمط هرمي يقوده "أمير" بمساعدة خلفاء يشرفون على مقاطعات تضم عدة ولايات (أغاليك)، بالإضافة إلى إقامة أنظمة عسكرية و قضائية و جبائية قوامها مجلسان للعلماء و القضاة.

لا يمكن تحديد ملامح صورة عبد القادر في ذاكرة التاريخ الجزائري دون الإشارة إلى المراحل الثلاث التي عاشها الأمير و المتميزة بخصوصيتها و دلالاتها ، فالأولى قضاها في طلب العلم و التعرف على أوضاع الجزائر و البلاد العربية من خلال الرحلة، و الحج(1807-1832)، و الثانية عاشها في الجهاد و مقاومة الاحتلال الفرنسي(1832-1847)، و الثالثة قضاها بعيدا عن الجزائر في الأسر بفرنسا و مرابطا في بورصة بتركيا و دمشق(1848-1883).

إن أهم المواقف الإنسانية للأمير سجلها أثناء اشتعال الفتنة الطائفية ببلاد الشام، فلم يتردد في حماية أهل الذمة من المسيحيين حسب ما تقتضيه تعاليم الشريعة الإسلامية ، والتزامه بقوله تعالى : (۞ مِنَ اَجْلِ ذَالِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ اَوْ فَسَادٍ فِي اِلاَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاًۖ وَمَنَ اَحْيٰاهَا فَكَأَنَّمَآ

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ۞) [4] ، ففتح إقامته، و مساكن أتباعه لاستقبال النصارى بمختلف طوائفهم المهددين بالقتل الجماعي، فتحولت تلك الأحداث من مسألة داخلية تجاوزت صلاحيات الدولة العثمانية إلى قضية دولية. فكان هذا العمل سببا في تقدير السلطات العثمانية و ملوك أوروبا لصنيع الأمير. و في هذه الظروف الحرجة ، ظهرت بوادر و مؤشرات الحركة الماسونية تلوح في أفق حياة الأمير و هو بالمهجر، و علاقتها بنشاط الأمير الديني و الإنساني، فأضحت محافلها تروج في المشرق و الغرب بأن عبد القادر صديق للماسونية و من مريديها.

الماسونية : تاريخ و مفاهيم

تعد الماسونية من أقدم الحركات السرية في العالم، نشأت في سنة 43 م على يد الملك الروماني هيرودس و مستشاره اليهودي جيرام إيبود بمعية تسعة مؤسسين، تحت مسمى: "حركة القوة الخفية ". و في سنة 1717 [5] تغير اسمها من طرف ابراهام جوزيف لافي تحت غطاء " جمعية البنائين الأحرار"(Freemacon) . و قد أقيمت مراسيم الاحتفال بمحفل أورشليم بفلسطين ،ثم محفل انجلترا الأعظم و مقره مدينة يورك. هناك عديد الكتب التي تناولت التنظيم الماسوني و نشأ ته و طقوسه وقوانينه، وذلك بتفصيل شديد. كما تتناولت بدايته التاريخية ونموه وانتشاره ثم هيمنته على نظم الحكم وتأليبه للثورات وتحريضه على الانقلابات والاغتيالات، وتغلغل اليهود فيه بإحكام بعد سيطرتهم عليه و مدى الارتباط الوثيق بين طقوسه ورموزه والمعتقدات اليهودية[6].

و تشير دراسة جورجي زيدان أن تاريخ الماسونية، ينقسم إلى ثلاث محطات تاريخية، أولها الماسونية العملية و الماسونية المشتركة ، و الماسونية الحديثة التي بدأت منذ 1717م. و حين أشار إلى تاريخ تأسيس محفل الإسكندرية بمصر عام 1845 باسم محفل الأهرام اتهم الأمير صراحة بانتمائه للماسونية، حيث ذكر ما نصه: «... دخلت الماسونية الرمزية إلى دمشق بمساعي الطيب الذكر المغفور له الأمير عبد القادر الجزائري... و في سنة 1845 تأسس في الإسكندرية محفل اسمه (الأهرام) انضم إليه كثيرون من الإخوة الماسونيين من جميع الطوائف... و التحق به قسم عظيم... و في جملتهم... الأمير عبد القادر الجزائري المشهور بالفضل و الحلم و عزة النفس، التي هي الصفات الماسونية الحقة و قد تمثلت في شخص هذا الرجل... و ما أبداه من كرم الأخلاق و الشهامة أثناء حادثة الشام...[7] » .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وضمن هذا السياق يرى المؤرخ الفرنسي ياكونو(Yacono,Xavier) [8] بأن الماسونية وجدت بالجزائر قبل 1830، حيث أحصى سبعة من الجزائريين الذين انخرطوا في المحفل الماسوني، من بينهم اليهودي بن دوران كان من محرري معاهدة تافنة بين الأمير عبد القادر و المارشال بوجو[9]، و كان ذلك ما بين سنتي 1785 و 1786. وصل عدد المنخرطين في المحفل سبعة و ثلاثين ما بين 1815 و 1875. و في سنة 1867 انضم ولدا الأمير عبد القادر في السلك الماسوني بفلسطين، و يضيف معلقا على ذلك أن زيارة الأمير إلى باريس سنة 1867 لا توجد حولها أدلة عن زيارة الأمير لمحفل هنري الرابع [10].

من المبادئ الأساسية التي اعتمدها الماسونيون في عقيدتهم هو التخلي عن مبدأ الاختلاف في الأديان و العرق و الجنس، و كانت مبادئهم نتاج قرن الأنوار، وتشير القرائن أنها انتشرت بعد حملة نابوليون على مصر (1799-1801) توغلت في الشرق . و اتخذت محافل لها في كل من مصر و سوريا و لبنان و تركيا و شمال أفريقيا. ففي 19 أوت سنة 1864 صرح عبد القادر بانخراطه في محفل هنري الرابع الباريسي في ملحقته بالإسكندرية (الأهرام) الماسونية بمصر، بعد عوده من البقاع المقدسة أثناء أدائه لفريضة الحج كما جاء في الروايات المروجة لسيرته في كتابات الماسونيين أنفسهم. لقد بذلت الماسونية الفرنسية كل ما في وسعها من أجل إشهار هذه العضوية ، لكن المؤرخين المهتمين بحياة عبد القادر التزموا الصمت حيال هذه الحقيقة طيلة قرون. فيما بعد، سيحاول كتاب جزائريون و فرنسيون استعادة صورة عبد القادر الذي كان مثالا لضفتي البحر الأبيض المتوسط. لقد تميز هذا الانخراط بالصمت من طرف الكتاب طيلة قرن من الزمن، و في 5 جويلية 1966 تاريخ استرجاع رفات الأمير عبد القادر من سوريا و دفنه بالمقبرة العالية بالجزائر العاصمة على عهد الرئيس الجزائري هواري بومدين(1932-1978)، قد أثار هذا الحدث البارز بداية ظهور كتابات جدلية بين ضفتي المتوسط ، حول شخصية بطل الجزائر، و كانت أولى الكتابات ، ما نشره المؤرخ الفرنسي ياكنو Xavier,Yacono (1912-1990) في المجلة الماسونية ، بما اصطلح عليه الأمير عبد القادر ماسوني.

لقد أثارت هذه الدراسة جدل كبير بين المؤرخين من كلا الجانبين، بحيث اعتمد الفرنسيون على وثائق المحفل الماسوني ، في الوقت نفسه اتخذ الكتاب الجزائريين جانب الحذر و الحيطة في التعامل مع هذه الوثائق. و لكي نفهم السياق التاريخي للأحداث و الجدل القائم حول انتساب الأمير للمحفل الماسوني الفرنس، لا بد من استحضار الأحداث التاريخية للأمير منذ دخوله تراب الدولة العثمانية بعد انقضاء فترة الأسر بفرنسا[11].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

تشير دراسة ألفها حفيد حمدان خوجة بإسطنبول علي رضا باشا(ت 1876م) إلى كيفية نهاية مقاومة الأمير، و كيف اختار مدينة بورصة للإقامة فيها: " ...فخذ أنت هذه الورقة و سلمها للجنرال لا موريسيار(1806-1865)(Louis Lamoricière)، و أنا أستسلم له، لكن أريد عهدا منه بأنه سيرسلني إلى الإسكندرية أو إلى إحدى مدن الدولة العثمانية... و في سنة 1847، اتقى (عبد القادر) في ضريح سيدي ابراهيم (الغزوات) مع ابن الملك الدوق دومال(1822-1897) Henri d'Orléans)، و قال له: و أنتم ابن الملك ، أتمنى أن تنفدوا العهد الذي قدمه لي الجنرال لا موريسيار...إذا أعطيت له ضمانات موثقة و موقعة بختم الجنرال المذكور بأنه يتم إرساله إلى مدينة بورسة..."[12]. ما نستشفه من نص هذا الحديث أنه غير موثق، فكيف لهذا الرجل بمثل هذه المعلومات و هو مقيم بتركيا؟ و يتهم علي رضا الأمير بالعمالة في نص أخر: " ... ورخص لعبد القادر أن يذهب إلى بروسة، بحسب رغبته، و خصص له مع ذلك مرتب كبيرا... و بعد ذلك أمضى عبد القادر عمره كله بطريقة ودية مع الفرنسيين. وحسب بعض الروايات فإنه ذكر الفرنسيين بوعود تشوقهم و تبشرهم بالسيطرة على الجزائر بكاملها، و لهذا أحبه نابوليون و اعتاد على إعداد الهدايا و إرسالها إليه باستمرار[13]..." هل الروايات المتداولة وقتذاك تجعل الأمير خائن في نظر هذا الكاتب؟.

الأمير عبد القادر في تركيا(1852-1855)

لعل من أهم المحطات التاريخية الجديرة بالعناية في دراسة مسيرة الأمير هي اطلاق سراحه من الأسر بفرنسا في 16 أكتوبر 1852 من طرف لويس بونابرت الذي سيصبح الإمبراطور نابوليون الثالث(1852-1870) فيما بعد. و قد تعهد عبد القادر بشرفه بعدم العودة إلى الجزائر و حمل لواء الجهاد ضد فرنسا من جديد. لقد قدم الكاتب الفرنسي Bellemare بليمار في مؤلفه حول حياة الأمير في بورصة التركية [14]، وعن كيفية استقبال الأهالي له، و بالرغم من ذلك وجد الأمير نفسه في مدينة غريبة عن تقاليده و لغته محاطة بالأتراك و اليونانيين[15].

ارتبط مصير الأمير بفرنسا منذ وصوله مدينة بورصة و بدأ مشواره السياسي مع نظام العثمنة، حيث أصبح أحد أعيان المدينة الجديدة . تم اختيار المدينة من طرف السلطان العثماني لتكون مقر إقامة الأمير، وهذا بعد مشاورة فرنسا منذ العام 1851، ليكون تحت الحراسة و مراقبة السلطات الفرنسية.و قد عينت فرنسا لهذا الغرض القنصل أنطوان روسو Rousseau(1811-1855)، لمراقبة أنشطة الأمير السياسية[16].إن فترة مكوث عبد القادر

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ببورصة سمحت له بالانخراط في السياسة العثمانية، و أدى ذلك إلى التفاف المهاجرين الجزائريين حوله.

الأمير عبد القادر في دمشق(1855-1860)

أدى استقرار عبد القادر بدمشق و الرحيل بعد إقامته مدة سنتين و نصف من بورصة بسبب الزلزال العنيف الذي دمر عمرانها في مارس 1855، سبباً رئيسياً إلى توجيه الرسائل إلى الباب العالي مطالبا الرحيل من هذه المدينة و نقله إلى دمشق. و يرجح المؤرخ التونسي التميمي ، أن عزوف عبد القادر في البقاء ببورصة ، و المطالبة بتغيير مكان إقامته إلى أرض الإسلام ، كان حجته في ذلك الزلزال الذي ضرب بورصة التركية. كما سنحت له الفرصة أثناء زيارته باريس والالتقاء بالإمبراطور الفرنسي نابوليون الثالث(1852-1870) و الإلحاح على هذا المطلب[17].

لقد طلب نابوليون الثالث من السلطات العثمانية بتحويل مقر إقامة عبد القادر مباشرة إلى دمشق. ومن هنا جاز لنا القول بأن إقامة عبد القادر ببورصة كانت من اقتراح و طلب من السلطان العثماني، بينما الإقامة في دمشق كانت بطلب من عبد القادر نفسه. و يتضح مما سبق أن مطالب الأمير بالذهاب إلى بلاد المشرق كانت منذ نهاية المقاومة سنة 1847، و هو الأمر الذي وعدت به فرنسا أثناء فترة أسر الأمير، لكنها أخلت بشروط الالتزام، فأصبح المطلب أسرا بالنسبة للأمير بفرنسا ثم إقامته قسراً ببورصة[18]. تكفل الصدر الأعظم علي باشا باختيار المكان المناسب في دمشق ليكون المقر الجديد لعبد القادر، أما في الأوساط الفرنسية فقد ظل الأمير الرجل الخطير في نظرهم. و قد اتخذ عبد القادر جانب الحيطة و الحذر في تعامله مع فرنسا و قناصلها بدمشق، حيث أحسن هناك براحة البال و بتنفس حريته من جديد في فضاء إسلامي يلائم نفسيته الدينية و الاجتماعية.

دشن عبد القادر دخول حاضرة دمشق بزيارة ضريح محيي الدين بن العربي[19]، و تمكن في ظرف وجيز من استقطاب الأعيان و النخب المحلية الدينية ، تحت تأثير مكانته الجهادية في الجزائر و نسبه الشريفي. و قام بعد ذلك بطبع كتاب الفتوحات المكية لشيخه ابن العربي تحت نفقته الخاصة سنة 1857، ايذانا بتعاليم الصوفية التي جاء بها الشيخ الأكبر. أظهرت بوادر الصراع الأميري مع العثمانيين في مجال الثقافة و التعليم، إذ تحكم عبد القادر في مدرسة القمقجية للتعليم الديني بالقرب من الجامع الأموي ، وهو ما أزعج السلطات العثمانية التي

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

كانت تساير التنظيمات التحديثية على شاكلة التعليم الأوروبي. كما تفرغ عبد القادر أثناء وجوده بالشام للقراءة و التدريس و عكف على تأليف الكتب و مجالسة العلماء و أهل الذكر.

و تجدر الإشارة هنا أن الأمير تملك ثروة و عقارات واسعة بدمشق، استعملها للمنافع العامة، فأضحى زعيم الجالية الجزائرية هناك و عراب الجزائريين، و إلى غاية 1860 كانت فرنسا بوابة عبد القادر نحو العثمانيين للمطالبة بالامتيازات لصالحه، وهو بذلك استغل ثنائية محي فرنسة من جهة و من جهة ثانية أحد الأعيان المسلمين الأثرياء بدمشق.

إن استقرار الأمير النهائي بدمشق أعطى له حرية التنفس، و توطيد علاقات مع محيطه الجديد، و التحرر من تبعيته لفرنسا و مراقبة عيونها. و الجدول التالي يوضح الألقاب التي نعت بها عبد القادر في المراسلات العثمانية.

جدول(رقم:1) أبرز ألقاب عبد القادر في الرسائل العثمانية (1852-1860)[20]

السنة	1852	1853	1854	1855	1856	1857	1858	1859	1860	المجموع
عبد القادر بن محي الدين الجزائري	7	3								10
أفندي			5		1	2		5	4	17
الشريف			3	4	1	1	2			11
مولاي				1			2		1	4
الشيخ		1	1	2						4
المجموع										46

ابتداء من سنة 1860، قدم عبد القادر نفسه في مراسلاته أمام العثمانيين بصفته كأمير، وهو لقب رسمي راسل به الباب العالي خاصة بعد أحداث دمشق. و مصطلح أفندي يشير إلى لقب عثماني يطلق على رجال الدين وأرباب السلك العلمي.

الأحداث الطائفية بدمشق و تدخل الأمير 1860

تميزت بلاد الشام بتنوع الطواف الدينية و الأعراق منذ العصر الوسيط، مما كان له الأثر البالغ في تكالب الأمم الأوروبية عليه و التدخل في شؤونه من حين لآخر. و كان لفرنسا و انجلترا

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الدور البارز في تغذية النزاع و الصراع الطائفي ، خاصة بين طائفتي الدروز و الموارنة منذ العام 1845.

عندما بدأ فتيل الفتنة بالاشتعال في دمشق في صائفة 1860 ما بين طائفتي الدروز و الموارنة، برزت مواقف عبد القادر الإنسانية، إذ خاطب علماء و أعيان دمشق قائلا: « إن الأديان و في مقدمتها الدين الإسلامي، أجل و أقدس من أن يكون خنجر جهالة أو معول طيش أو صرخة نذاله، تدوي بها أفواه الحثالة من القوم... أحذركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيباً، أو له على نفوسكم سبيلاً...»[21] . كان الدافع الأساسي لإنقاذ عبد القادر للمسيحيين و الأوروبيين من مجزرة دمشق، ما أكده نص صريح موجه لملكة انجلترا في 27 جويلية 1861، ما نصه : « إنني لم أفعل إلا ما توجبه علي فرائض الإيمان و لوازم الإنسانية .[22] »

تمكن عبد القادر من إسكات الفتنة و وضع حد للتدخل الأجنبي في الولاية العثمانية، فرأت فيه حكومة الباب العالي خادما لها و مساندا لسياستها الداخلية، و أنه استطاع بفضل جهوده و معونيه من الجزائريين بالشام من إنقاذ حوالي 13 ألف مسيحي حسب ما ورد في تقارير القنصلية الفرنسية بدمشق[23] . و في نص عبارة عن روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام 1860، نقتبس هذه العبرات التالية: « لكن قدر لهم أن يكون بين المسلمين شهم يرق لحالهم، و يرثي لمصاهم، و هذا الشهم هو الأمير عبد القادر الجزائري... عم فضله و كرمه نصارى الشام، و كان لا يترك فرصة تفوته من الدفاع عنهم... و ترك النصارى و شأنهم... و لما قنط الأمير عبد القادر من مساعدة (أحمد باشا والي عثماني بالشام)، بالمدافعة عن النصارى أمر رجاله... و عزم أن يضحيهم في الذود عن عيالهم و أطفالهم... و غصت دار الأمير الجزائري بالنصارى...[24] » . نلاحظ من خلال هذا النص أن الأمير نعتته الطائفة المسيحية بالأمير، بالنظر لمكانته الجهادية ضد فرنسا بالجزائر. و الجدول التالي يوضح بجلاء ألقاب الأمير في توقيعاته للرسائل الموجهة للباب العالي[25].

جدول(رقم: 2) توقيعات الأمير لرسائل موجهة للعثمانيين ما بين (1853-1865)

السنة	1853	1854	1855	1859	1860	1861	1862	1863	1864	1865	المجموع
عبد القادر بن محيي	1	1	1			1					4

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الدين											
عبد القادر الحسني الجزائري			2	1	4		5	1	1	3	17
الأمير عبد القادر		1			4		4	1	1	1	12

إن توصيف عبد القادر بهذه الألقاب بدأت منذ دخوله مدينة بورصة، حيث كان يوقع باسم " عبد القادر الحسني" ومنذ اشعال فتنة دمشق سنة 1860 بدأ يستعمل في رسائله الموجهة لملوك أوروبا و حكومة الباب العالي لقب الأمير، لتذكيرهم بشرعية البيعة التي اقترن بها أثناء مقاومته للغزو الفرنسي بالجزائر و خلال إقامته ببلاد الحرمين الشريفين لأداء الحج، لقبه الحجاج بخادم الجهاد . لقد أثارت فتنة دمشق مفارقة عجيبة في أن أصبح عبد القادر يتحدى حكومة الباب العالي في توقيع الرسائل باسم الأمير عبد القادر، لأنه أصبح في نظر أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية بطلا ،جراء العمل الإنساني المتمثل في إنقاذه الألاف من المسيحيين، حيث نعتته الديبلوماسية العثمانية أنذاك بفارس التنظيمات العثمانية ببلاد الشام من خلال التزامه بالوعود التي قطعها للدولة العثمانية في مراعاة و خدمة مصالحها بالمنطقة. كان للأمير عبد القادر في هذه الحوادث المؤلمة مواقف مشرفة تدعو للإعجاب، و هذا الموقف ذو النزعة الإنسانية ، كان له صدى عالمي ،حيث تهاطلت عليه رسائل الشكر و العرفان ، مصحوبة بالهدايا و النياشين و شارات الفخر و التقدير.

ظهور فكرة انخراط الأمير في المحفل الماسوني.

و من أبرز الدراسات البيبوغرافية التي أرخت لسيرة الأمير و هو على قيد الحياة، كتاب " حياة الأمير عبد القادر، للعقيد الإنجليزي هنري تشرسل، حيث عد كتابه من أفضل ما أرخ عن شخصية عبد القادر الفارس الشريف في نظره. و جاء هذا التأليف نتيجة تعارف و صداقة بينهما دامت حوالي عشر سنوات. ينتمي هنري تشرشل إلى الأرستقراطية الإنجليزية، و قد سمع بنشاط الأمير السياسي و العسكري منذ كان مقيما بإسبانيا سنة 1835، و هي الفترة التي اتصل فيها الأمير بإنجلترا لإمداده بالذخيرة و الأسلحة في حربه ضد فرنسا.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

و تشير التقارير البريطانية أن زيارة عبد القادر للندن في صائفة 1865 كانت من ايحاء تشرشل، فمنذ استقرار الأمير ببورصة التركية سنة 1853 بدأت علاقته بالرجل الذي قام بزيارته عندما كان مقيما ببيروت منذ العام1842.[26]

لقد افتتن به الأمير بسبب حذاقته للغة العربية و معرفته الجيدة للطباع و التقاليد العربية، عندما توجه الأمير إلى دمشق ،أقام عنده أيام بجبل لبنان سنة 1855، و من هنا اختمرت فكرة كتابة سيرة الأمير عند تشرشل ، و أصبح المشروع حقيقة ، عندما توجه إلى دمشق و أقام في ضيافة الأمير ما بين 1859 و 1860، في رحلة استغرقت خمسة شهور. إن كتاب سيرة الأمير عند تشرشل ، انطلقت أساساً من مبدأين هما : تمجيد بطولة الأمير الحربية، و تمجيد مواقفه الإنسانية. إن حماس تشرشل للأمير كزعيم و إنسان، و سماحته في حسن معاملة الأسرى، و تدخله في إنقاذ المسيحيين بالشام، هي التي انجرت وراء خط الكتابة التي تميز بها مؤلف تشرشل ، حيث ركز على مواضيع ، تخص التربية و التكوين الطبيعي و الديني للأمير، و النظام الإداري و تسامحه مع الأعداء أثناء المقاومة، و مدى انبهاره و اعجابه بقيم الحضارة الغربية، و تدخله الإنساني في انقاذ مسيحيي الشام، و حبه للعلم و تعلقه بالدين[27].

تعتبر سيرة الأمير عبد القادر للكاتب لتشرشل من أشهر الدراسات التي روجت لفكرة انتماء الأمير للماسونية ، حيث نجح هذا الكاتب الإنجليزي في الدعاية للأمير بنص أصبح بمثابة وثيقة تاريخية اعتمدها كثير من الدارسين لحياة الأمير، و مما جاء فيها : « لقد نجح عبد القادر في تحقيق أعلى المراتب الدينية التي تعتبر أساسية و جليلة ، بعد عمل شاق و انكار طويل للذات، و من جهة أخرى أصبح يحمل شعار جمعية تقوم على مبدأ الأخوة العالمية. إن الجمعية الماسونية في الإسكندرية قد سارعت للترحيب بالعضو الجديد الشهير، فقد دعي المحفل الماسوني، المعروف بمحفل الأهرام ، للاجتماع خصيصاً لهذه المناسبة، عشية الثامن عشر من يونيو(18 جوان). و أضيفت إلى ميزة " مجاور النبي" ميزة " ماسوني حر و مقبول" ... »[28].

من خلال العودة إلى كتاب تشرشل ، نجده يذكر أنه غادر دمشق سنة 1860،و الكتاب نشر سنة 1867، و بالتالي ما هي القيمة التوثيقية المقدمة حول انضمام الأمير إلى المحفل الماسوني ؟ هل توجد وثائق مادية، أو سند تاريخي يشهد أو يثبت هذا الانتساب و الافتراء على الأمير عبد القادر؟ و نستشف نص مغادرة الكاتب لدمشق، في الفقرة التالية: « لم يكن يخطر على بالي و أنا أغادر دمشق في ربيع سنة 1860، أن فعلا آخر يضاف إلى تاريخه الغريب كثير الوقائع... أما عن سلوكه الباهر النموذجي خلال المذبحة المخيفة التي تعرض لها مسيحيو دمشق، وسط

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

تواطئ السلطات التركية المخزية القاسية، فقد حصلت على تفاصيل... من مشاهدي العيان... هذه اذن هي مادتي »[29].

هناك اثبات و نفي قاطع ما بين الباحثين حول انتساب الأمير إلى المحفل الماسوني الفرنسي، و مما جاء في رسالة تقدير من لدن المحفل الفرنسي و اعجابه بصنيع الأمير في التدخل في أحداث دمشق : « أعلم أيها الأمير أن العالم قد كلل هامتكم الشريفة المقدسة بإكليل الشرف، و نحن نقدم إليكم تقديرنا لما أظهرتموه من كمال الإنسانية... نعم أنت الممثل الوحيد للأمة العربية القومية التي تدين لها أوروبا لها بقسم كبير من تمدنها و علومها، فلك المجد و الفخر و الشكر. [30] ».

تشير كتابات الفرنسي برونو إتيان(Bruno Etienne) ، أن الأمير كان جد حساس للدعوة الماسونية ، و أنه تلقى شروح عن أهداف الجمعية و نشاطاتها من طرف أحد أصدقائه اللبناني شاهين مكاريوس، و أن أقدم سيرة بيوغرافية حول حياته كتبها أحد أصدقائه [31]. أسهم مكاريوس في كتابه " فضائل الماسونية "[32] في التأريخ لسيرة الأمير عبد القادر في اثنتان و ثلاثين صفحة ، اهتم فيها بإغراق كتابه بتفاصيل عن حياة الأمير منذ ولادته سنة 1808 بالقيطنة إلى تاريخ وفاته بدمشق. سعى هذا المؤلف إلى ذكر مراحل حياة الأمير ، مرحلة الطفولة، و مقاومته للمحتفل الفرنسي، و فترة أسره بفرنسا، ودخوله مدينة بورصة، ثم الانتقال إلى دمشق و الإقامة بها ، و دوره البطولي في أحداث فتنة دمشق، مركزا الحديث عن دخول عبد القادر للماسونية، و مما يستشف في نص كتاباته ما يلي: « و كان قد سمع كثيراً عن الجمعية الماسونية و ما لها من صحيح المبادئ و فعل الخير فتاقت نفسه إلى الانضمام إليها ، و اغتنم فرصة مروره بالإسكندرية أثناء عودته من الحجاز سنة 1864 فانتظم في سلكها في 18 جوان بمحفل الأهرام التابع للشرق السامي الفر نساوي... و كان لا يخفي نفسه و طالما جاهر أنه من أعضائها ... »[33] و يشير في موضع أخر « و في شهر سبتمبر 1881 زرته في داره بدمشق برفقة الأخ المرحوم المبرور المشهور السيد أسعد أفندي حمزة ، فرحب بي و اجلسني بجانبه و سألني عن الإخوة الماسون و عن محفل لبنان و شكر سعيي الماسوني.[34] »

مما لا شك فيه أن تحامل شاهين مكاريوس في هذه النصوص على أن الأمير فعلاً كان ماسونيا ، و أنه كان يجاهر بعضويته بفخر و اعتزاز، يردنا إلى السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، لماذا لا نجد نصوص و قرائن أخرى في كتب معاصرة لحياة الأمير، تشير في ذلك صراحة إلا في هذا التأليف لرجل ماسوني حتى الثمالة ؟.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

علاقة الأمير عبد القادر بالماسونية في الكتابات الفرنسية.

افتتن الماسونيون الفرنسيين بمآثر الأمير عبد القادر منذ إنقاذه مسيحيي الشام ، فتهاطلت عليه عديد الرسائل من محافلهم تدعوه للانخراط في تنظيمهم، و التي أرخ لها كتاب سيرة عبد القادر. كما تشير المصادر المتوفرة لدى الباحثين أن أولى اتصالات الأمير بمحفل الإسكندرية الماسوني ، و تنظيم حفل استقباله في محفل هنري الربع بباريس أثناء زيارته لفرنسا (30أوت 1865) كانت بداية الانخراط الرسمي للأمير في المحفل الماسوني، في حين يرى البعض أنها كانت زيارة مجاملة لا غير، لكن الماسونيين يصرون على هذا الانضمام، و أنهم تخلى عن تنظيمهم و قاطعهم بصفة رسمية في سنة 1877 ، وهو ما تذهب إليه إلى يومنا هذا محافل الماسونية بإنجلترا .[35]

لا توجد وثائق ثبوتية حول انضمام الأمير في سلك الماسونية، و هل هناك رسائل محررة من طرف الأمير حول هذا الانخراط؟ هناك العديد من الباحثين في التاريخ الجزائري، يضعون العقيدة الإسلامية التي التزم بها الأمير، تعارض انتماءه للإلحاد الذي تناشده الحركة ، و أبعادها الخفية في خدمة مصالح الاستعمار، مما يجعلنا نشك في الوثائق الفرنسية الموجودة في المحفل الماسوني، و المؤرخة في القرن التاسع عشر، مسلم بها في التأريخ للأمير في تلك الحقبة المظلمة.

من الواضح أن الباحثين الفرنسيين المعاصرين ، ياكونو و برينو المعروفان بكتابتهم المنهجية في حقل توظيف الوثائق الأولية كمصدر للتأريخ، ماهي تأثيرات توجهات برينو المنتمي للمحفل الماسوني، و محاولة جدبه للأمير كرجل الضفتين، و هل يمكن التسليم بأطروحة ياكونو بانخراط الأمير في المحفل الماسوني؟ لا يمتلك الباحثون الجزائريين الوثائق التاريخية اللازمة، مما يثير الجدل في الفترة التي ألصقت فيه مسألة انخراط الأمير للماسونية، و التي بدأت خيوطها تحاك في سنة 1861، ثم الانضمام الرسمي في سنة 1864، و أنه بعد ثلاثة عشر سنة من هذا التواجد، تطرح عديد الإشكاليات حول الانضمام المتناقض للأمير في محفل الشرق الكبير لفرنسا(GODF)، الذي طلب استئذان المعلم الكبير مورات(Lucien Murat) مساءلة الأمير حول عديد الرموز، مع العلم أن الأمير لم يرد على رسائل محفل هنري الرابع إلا في هذه المسائل:[36]

1- ما هي واجبات الإنسان تجاه الخالق؟
2- ماهي واجبات الإنسان تجاه أقرانه من البشر؟

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

3- ماهي واجبات الإنسان تجاه نفسه؟
4- هل الروح أزلية؟
5- الناس سواسية أمام الخالق.
6- كيف نفهم قواعد التسامح و الإخاء؟

جاءت اجابات الأمير مطابقة لتعليم الشريعة الإسلامية، و من هنا أشار برينو أن عبد القادر إنسان متسامح، جدير بنشر أفكار الماسونية، و أنها نفس الأفكار التي راودت رجال النهضة العربية في القرن التاسع عشر، بخصوص أوضاع التأخر الذي شهدته الأمة الإسلامية. إن العديد من أصحاب السير و مترجمي حياة الأمير، ارتكبوا أخطاء فادحة حول مفاهيم الماسونية و تعقيداتها الفكرية ، و محاولة الصاق مصطلحات اللغة العربية التي انساق إليها الأمير في رسائله و التي لا تخرج عن مفاهيم ابن عربي، إذ لوحظ أن هذا الأخير ، و بسبب تعقيداته في مجال تأويل القرآن ، جعل خصومه يتهمونه بالزندقة و الإباحية، و أنه حرب نصوص القرآن الكريم.

تبرئة الأمير عبد القادر من الماسونية في الكتابات الجزائرية.

إن رسائل محفل هنري الرابع التي اعتمدها الباحثان الفرنسيان ياكنو(1912-1990) و برينو(1937-2009) بينت انخراط الأمير في المحفل الماسوني، الذي من شأنه زمنئذ تنوير العالم العربي تجاه أفكار الماسونية، و ابعاد العرب عن التعصب و الوحشية و الدخول بهم إلى عالم التنوير الحقيقي، و أن الأمير الذي رفع راية التسامح و التعايش ما بين الأديان و هي قضايا أقرتها الشريعة الإسلامية، و كأنه في نظر الماسونيين غنيمة حرب يجب توظيفها بأي شكل.

تعتبر مراسلات المحفل الماسوني الفرنسي مع الأمير ذات أبعاد عالمية في سياق الخطاب ، و هي لا تتنافى مع نصوص القرآن و السنة النبوية. كما أن رحلة الأمير إلى باريس سنة 1865 يشوبه كثير من الغموض في مجال التوثيق التاريخي خاصة أن الكتابات في هذا الشأن لا تتحدث عن نشاط الأمير بالمحفل الماسوني بواسطة تبادل الرسائل بعد عوته من باريس سنة 1865. فلماذا تغيب الأمير عن الحفل الذي أقيم من أجله من طرف محفل هنري الرابع بباريس؟ هل نصح أتباع الأمير بعد الحضور لأسباب سياسية؟ هل كان عدم حضور الحفل كان بطلب من امبراطور فرنسا نابوليون الثالث نفسه؟ . فمن المتعارف عليه أنه في 25 سبتمبر 1865 قام بابا الفاتكان بيوس التاسع(1846-1869) بتحريم أعمال الماسونية و أنها تتحدى سلطة الكنيسة كما هو الشأن بالنسبة للعالم الإسلامي.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

لعل من أهم الكتابات الجديرة بالعناية حول انتساب الأمير للمحفل الماسوني الفرنسي، و تتصل جميعها بأربع مجموعات:

1- مجموعة الشريف الساحلي(1906-1986)[37]:

تشير هذه الأطروحة إلى أن الأمير كانت له علاقة بالسلك الماسوني ، لكن من دون الانتماء إليها، و السبب راجع إلى عدم خلط المبادئ الإسلامية التي اتصف بها الأمير مع الفكر الهدام و الإلحادي للماسونية، و أصحاب هذا الاتجاه فسروا المسألة من وجهة نظر فكر إسلامي قومي.

2- مجموعة بن عيسى[38]:

نفت دراسة هذا الأخير الوثائق التي هي بحوزة الماسونيين الفرنسيين ، و التي وظفها بعض الباحثين لإلصاق تهمة انخراط الأمير في المحفل الماسوني، و حيث أن الأمير كان واع بأن الماسونية منظمة ظلامية تدعو للإلحاد. كما أكد على أن الرسائل التي قيل أن الأمير بعث بها إلى المحفل الفرنسي تبدو غامضة و غير واضحة للاستدلال بها على أن الأمير أحد الأعضاء البارزين في هذا السلك.

3- مجموعة لا مست أطروحة عالم الاجتماع الماسوني الفرنسي برينو إتيان، أحد المختصين في سيرة عبد القادر ، الذي درس العلاقة المتبادلة بنه و بين المحفل الماسوني الفرنسي من خلال الرسائل، و بأنه كان أحد أبرز أعضائها في الشرق الكبير. وقد استغرقت التبادلات زهاء خمس سنوات حسبما جاء في كتاباته. كما لا مس هؤلاء أطروحة المعمر الفرنسي كزافي ياكونو الذي كان أول من اتهم الأمير بالماسونية من خلال النص الذي كتبه صديقه هنري تشرشل سنة 1867.

لا يمكن معرفة شخصية الأمير الدينية إلا من خلال التعمق في الحياة الروحية التي تربطه بشيخه ابن العربي الأندلسي(1165-1240م) الذي عده أهل التصوف من أقطاب التصوف الكبار. و قد ترك لنا كتابين هما الفتوحات المكية في 560 فصل ، و فصوص الحكم في 27 فصل. و ضمن هذا الإطار مكث الأمير عبد القادر ثلاثة عقود بدمشق، انصب جل اهتمامه على دراسة تصوف شيخه ابن العربي، و كانت تعاليمه تنصب في فكرة وحدة الوجود التي دار حولها النقاش ، و التي كانت سبباً رئيساً في اتهامه بالماسونية و الترويج لها في بلاد المشرق. كما يمكننا إجمال مراتب الوجود الرئيسية عند الشيخ ابن عربي بثلاثة مراتب هي [39]:

أولاً : مرتبة الذات الإلهية .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ثانياً : مرتبة العالم الوسيط البرزخي (الوسائط بين الذات والعالم) .
ثالثاً : مرتبة العالم .

وبذلك فإن الوجود عنده عبارة عن ثلاث مراتب رئيسية، ليس بينها فصل تام كما أنها ليست متحدة مع بعضها البعض اتحاد الذوبان أو الاندماج. ويرى نصر حامد أبو زيد (1943-2010) وحدة الوجود عند الشيخ ابن عربي يجب أن تفهم فهماً خاصاً يتباعد بها عن أي تصور مسبق لوحدة الوجود في الفلسفة الغربية أو المعاصرة أو الوسيطة أو القديمة ، وذلك لأن الشيخ ابن عربي ينطلق من ثنائية حادة واضحة يقيمها بين الذات الإلهية والعالم من جهة ، وبينها وبين الإنسان من جهة أخرى[40].

إن وحدة الوجود اتجاه فكري يبدو واضحا في مجال البحث الإلهي أو الميتافيزيقي، الذي يتناول العلاقة بين الله و العالم، و يقر بأن الحقيقة تتضمن موجوداً واحداً هو الله. و لم تستكمل صياغة وخدة الوجود في الإسلام إلا في القرن السابع للهجرة، أواخر القرن الثالث عشر للميلاد، على يد ابن عربي الذي اتخذه أساسا لدرسه و بحثه، و بنى عليه آراءه كلها، وأضحى مذهبا مكتمل المراحل ، عرضه في كتابيه: " الفتوحات المكية بـ " و " فصوص الحكم بـ" و يفهم في سياقات هاذين الكتابين أن ابن عربي أكد أن لا موجود إلا الله، فهو الوجود الحق، و الوجود المطلق، وجوده أزلي و أبدي [41].

يحاول ياكنو ربط قضية انخراط الأمير عبد القادر بفكر الإخاء الماسوني إلى حادثة انقاذ مسيحيي سوريا و لبنان من مجازر الدروز ما بين شهري جوان و جويلية 1860، فأصبح في نظره قيم روحي متأثرا بأفكار ابن عربي. و في نفس الاتجاه يعتقد برينو بأن عبد القادر تأثر بالأعمال الحضارية و الفعل التحديثي الذي قام به محمد علي باشا في مصر(1769-1849). وجدير بالإشارة هنا أن عبد القادر كان قد بعث برسائل إلى محمد علي في خريف سنة 1843 و بالسلطان العثماني عبد المجيد(1839-1861) سنة 1841، و بالصدر الأعظم محمد أمين رؤوف[42] و هو الأمر الذي سبق أن أشار إليه الجاسوس الفرنسي ليون روش(1809-1901)Léon Roches حينما شبه عبد القادر بالزعيم النوميدي يوغراطة(160-104 ق.م) و بأن له شخصية كاريزماتية[43].

و تجدر الإشارة في الأخير إلى أن اتهام الأمير عبد القادر بالماسونية و الانخراط في محفلها الفرنسي، ما هو إلا تشويه في حقيقة الرجل الذي جاهد في سبيل وطنه، و رفض أن يكون لعبة في يد المستعمر ، بالرغم من العروض التي قدمت له من أجل تغيير مواقفه، صحيح أنه كان

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وفيا لوعوده و التزاماته تجاه المستعمر بعدم رفع راية الجهاد من جديد، و هي سمات الفارس الذي لا يغير وعوده التي قطعها على نفسه. فقد التزم المؤرخون المهتمين بحياة عبد القادر قاعدة الصمت حيال هذه الحقيقة طيلة عقود. فيما بعد، سيحاول كتاب جزائريون و فرنسيون استعادة صورة الأمير الذي كان مثالا للحوار الإنساني ما بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، و الجدل تجاه عديد القضايا التي عايشها بالمنفى. كان هدف هذه الدراسة تحليل أطروحتين متباينتين عن طريق تسليط الضوء على مواطن القوة والضعف في كلتيهما. لقد أظهرت الكتابات كيف قبل عبد القادر، الانضمام للماسونية على الرغم من ولائه للإسلام، وأسباب قطيعته الفجائية مع الماسونية، من جهة أخرى، و هذا حسب الروايات الفرنسية في هذا الشأن. و نخلص في الأخير أنه يستحيل على الأمير عبد القادر الانخراط في المحفل الماسوني، و هو يعرف بفضل علمه و ترحاله و مخالطته للنخب في القارات الثلاث بأنها حركة شيطانية قريبة من الإلحاد و لا تؤمن بوجود الأديان. و حاصل القول أن عبد القادر الجزائري كان واع بمحدثات الأمور و أن الماسونية من صنائع الاستعمار الفرنسي .

الهوامش:

(1) Henri, Teissier, L'Emir Abdelkader, centre culturel du livre, Paris, Institut du monde arabe, 1er éd, 2020, pp.124-129.

(2) الباي حسن بن موسى الملقب بالباهي حسن، أخر بايات وهران، حول حياته يراجع : مسلم بن عبد القادر، خاتمة أنيس الغريب و المسافر(تحقيق و تقديم: رابح بونار)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1394هـ/1974م.ص ص 29-32..

(3) محمد، المشرفي، الحلال البهية في تاريخ ملك الدولة العلية، مخطوط بالمكتبة العامة، الرباط، رقم: 1463.

(4) سورة المائدة، آية: 34

(5) يصادف عام 1717م ولادة العالم الجديد في نظر الغرب الرأسمالي بتوقيع هولندا و فرنسا و انجلترا التحالف الثلاثي، و سيادة الذهب كمعيار ، رسخت معالمه في الأسواق الدولية، و لمدة مائتي سنة بقى سعر الذهب ثابتاً.

(6) من بين أهم الكتب التي عالجت موضوع الماسونية:

- فريدريش، فيختل، الماسونية العالمية،(ترجمة: عثمان محمد عثمان)، القاهرة: المركز القومي للترجمة،ط1،2010، 257 ص.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

- منصور، عبد الحكيم، حكومة العالم الخفية، أقدم تنظيم سري في العالم،ط1، دمشق- القاهرة: دار الكتاب العربي، 2005، 231 ص.

(7) جورجي، زيدان، تاريخ الماسونية العام، منذ نشأتها إلى هذا اليوم، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 2012، ص ص 112- 118.

(8) عالم في الأنثروبولوجيا، مختص في تاريخ الجزائر و الإسلام، و أحد أبرز المثقفين الفرنسيين في سلك الماسونية ولد بالجزائر سنة 1937، و توفي بفرنسا سنة 2009.

(9) YACONO (X.), « Les débuts de la Franc-Maçonnerie à Alger (1830-1852) », In, RA, n°103, .1959 pp.104-105.

(10) Xavier,Yacono, « Histoire maçonnique »,In, Revue documentation du grand orient de France, Mai- maconnique,humaniste,n°57,éditions du centre de Juin 1966,pp.19-21.

(11) لمعرفة خصوصية هذه المرحلة التاريخية، و بداية علاقة عبد القادر بالماسونية، يمكن الاستزادة بالدراسات التالية:

- Le valois, Michel," D'Amboise à Damas, Abd el Kader, vu spirituel dans la modernité, Dar el bourak, Beyrouth, 2010, pp.32-35.

- Kebache,Mouloud, L'émir Abdel Kader et la franc-maçonnerie française de l'engagement(1864) au renoncement(1877),Université de Montréal,2009,pp.85-114.

(12) علي رضا باشا، مرآة الجزائر،(ترجمة من التركية العثمانية إلى العربية، تقديم و تعليق: خليفة حماش)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1442هـ/2021م.ص ص 195-196.

(13) نفسه، ص ص 198-199..

(14) المدينة الرمز لبداية تأسيس الدولة العثمانية، وهي مدينة تقع غرب الأناضول، و تعد العاصمة الثانية للعثمانيين بعد ينيشهر، فتحها السلطان أورخان في سنة 1326م، و فيه يوجد ضريح السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية. اتخذها العثمانيون عاصمة لهم ما بين(1326-1365).

(15) Alexandre Bellemare, Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire, Paris, librairie de .l'Hachettes et Cie, 1863, pp.407-415

(16) ولد روسو في مدينة حلب و عاش معظم حياته متنقلا ما بين البصرة و طرابلس الغرب مع أبيه الدبلوماسي. عمل مترجما عسكريا في الجيش الأفريقي بالجزائر و وضع تحت تصرف مصالح الوزارة الخارجية بالجزائر، ليصبح مترجما رئيسا سنة 1846 في ديون الحكومة العامة في عهد المارشال بوجو. ثم عين قنصلا ببورصة سنة 1851. ينظر تفاصيل حياته السياسية :

Alain Messaoudi, Les arabisants et la France coloniale. Savants, conseillers, médiateurs (1780-1930), Lyon, ENS Éditions, 2015, pp.314-315.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

Charles, Féraud, Les interprètes de l'Armée d'Afrique, Alger, Jourdan, librairie- éditeur, 1976, p.213.

(17) Temimi, Abdeljallil, « Lettres inédites de l'émir Abd el kader », In, Revue maghrébine, Tunis, n°12, 1978, p.308.

(18) عبد الجليل، التميمي،" الأمير عبد القادر في دمشق"، المجلة التاريخية المغربية، العددان 15-16، تونس ، جويلية 1979، ص ص 107-117.

(19) السلطان العثماني سليم الأول(1512-1520) هو الذي أمر ببناء الضريح سنة 1516.

(20) Sylvain Henry Cornac, L ' Émir Abd al-Qadir et les Ottomans : l'itinéraire du dernier grand ayan de damas (1832-1865), université du Québec à Montréal, Avril, 2018.

(21) السلطان العثماني سليم الأول(1512-1520) هو الذي أمر ببناء الضريح سنة 1516.

(22) اباضة، نزار الأمير عبد القادر، العلم المجاهد، ط1، دمشق: دار الفكر، 1994، ص 18.

(23) Sylvain Henry Cornac, op.cit,p.293

(24) روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام 1860، (دراسة و تحقيق: سهيل زكار)، دمشق، الدراسات و الترجمة و النشر، 2006، ص ص 254-262. ،

(25) Sylvain Henry Cornac, op.cit, p.303.

(26) شارل هنري، تشرشل، حياة الأمير عبد القادر (ترجمة و تعليق و تقديم: أبو القاسم سعد الهه)، تونس: الدار التونسية لنشر، 1974، ص ص 12-14.

(27) نفسه، ص 28.

(28) نفسه، ص 294.

(29) نفسه، ص 37.

(30) بديعة الحسيني، الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق و وثائق، بين الحقيقة و التعريف،ط2، الجزائر: دار المعرفة ، 2008، ص 267.

(31) Bruno, Etienne, Abdelkader, Hachette, Paris, 1994, p.344.

(32) مكاريوس

(33) شاهين، مكاريوس، فضائل الماسونية، ط2، مصر: مطبعة المقطم، 1900، ص 178.

(34) نفسه، ص 182.

(35) Henri, Teissier, L'Emir Abdelkader, Casablanca, centre culturel du livre, Edition, Distribution, 1 éd, 2020, p.77.

(36) Xavier,Yacono, « Histoire maçonnique »,pp.19-21

(37) Sahli,cherif, M, Mythes français et réalité algérienne,Alger,2007.

(38) Hamza,Benaissa,L'emir Abdelkader et la France-maconnerie,Ed,maarifa,Alger,2002.p.38.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

(39) أسين، بلاثيوس، ابن عربي، حياته و مذهبه، (ترجمة: عبد الرحمن بدوي)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1965.

(40) نصر حامد أبو زيد، هكذا تكلم ابن عربي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص ص 167-171.

(41) الكتاب التذكاري ، محي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده 1165-1240م ، (اشراف و تقديم: ابراهيم بيومي مدكور)، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، 1389هـ/1969م، ص ص 369-373.

(42) ينظر الرسائل المتبادلة ما بين الأمير و الباب العالي في:
عبد الجليل، التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي51816-1871-، ط1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1972، ص ص 221-229.

(43) Roches, Léon, Trente-deux ans à travers l'islam (1832-1864), Paris, librairie de Firmin- Didot et Cit, 1884, T1, p.164.